

كانت جدتي نحيلة الجسم ، ذات بشرة بيضاء وشعر يميل الى اللون الاحمر وعينين بلون بني فاتح . ولا شك انها كانت في غاية الجمال في صباها . كانت شخصيتها قوية وكان جدي لا يعارضها بشيء ويرضخ لاورامها ، بالرغم من معاندته لها احيانا في موضوع التدخين والقهوة - فقد كانت تسمح له بتدخين نصف سيجارة وارتشاف نصف فنجان قهوة باوقات معينة وحسب برنامج يومي دقيق . وكان يحاول دائما الفوز بامتيازات اكبر ، كتدخين سيجارة بكاملها او شرب فنجان قهوة بكامله . كانت حياتهما هادئة سعيدة ، خصوصا بعد انتقالهما الى بيتهما الجديد .

كانت جدتي دائما تحلم بامتلاك بيت خاص بها . وتحقق حلمها في منتصف الثلاثينات بعد ان وفرت من المال ما يكفي لبناء بيت كبير ، عهدت ببناؤه الى مهندس ناشيء اسمه اميل بستاني - الذي اصبح بعد الحرب العالمية الثانية اكبر مقاولي البناء في العالم العربي . وبني البيت على احدث طراز ، بالرغم من ان الحمام لم يكن يشغل على ما يرام .

كان نزوح جدي وجدتي عن بيتهما في سنة ١٩٤٨ اقسى تجربة مرت بهما في حياتهما ، وكانت السنوات الاخيرة من حياتهما ملأى بالحزن والياس والضياع . فقدت جدتي مرحها وحيويتها وفقد جدي رشده ، ولم يعد يتعرف الى الذين حوله . في بيروت اقاما مع خالاتي ووالدتي واخي الاصغر في بيت مؤلف من حجرتين تملكه سيدة تقرب جدتي قرابة بعيدة .

توفي جدي في سنة ١٩٥٠ . قبل وفاته كان يحاول بين آن واخر التسلل من البيت في غفلة عن اهله ليرجع الى عكا . وكان عندما يمسكون به في الشارع يقول :

- انا بس راجع لبيتي .. انا بيتي في عكا .. ليش ما بتخلوني ارجع لبيتي ؟ ويأخذ مفتاحا من جيبه ويقول :

- ما بتصدقوني .. هذا مفتاح بيتي ..

وعندما يعودون به الى البيت يجلس صامتا والدموع تسيل من عينيه وتبلل لحيته التي لم تعد جدتي تقصها له كما كانت تفعل في عكا ، ويرفض الكلام .  
زمننا طويلا .

وتوفيت جدتي بعده بثمانى سنوات .

( ٢ )

قبل سفري الى الولايات المتحدة ببضعة ايام توقفت في عكا لاودع بيت جدي ووالدتي وكامل واكرم .